جنسي بين الفتيات القاصرات • واعتمادا على استفتاء عام ، ثبت ان أكثر من خمس الشعب الاميركي يخاف السير في الشوارع عند المساء ، وأن هناك ما يقارب ١٧ بالمئة من مجموع الشعب الاميركي ، لا يشعرون بالامان حتى وهم داخل بيوتهم • وأن القادرين منهم يستأجرون حراسا أو يضعون جهاز انذار الكتروني في شققهم • أما افراد عامة الشعب غير القادرين على تأمين ذلك فلا يستطيعون حماية أنفسهم •

وفي معظم الدول الصناعية الرأسمالية ، هناك ميول متشابهة في ارتكاب الجرائم • وبشكل خاص نجد أن ما يحصل في الولايات المتحدة يأتي مشابها تماما لما يحدث في المانيا الاتحادية في هذا المضمار • ويبدو ذلك واضحا من خلال الحقيقة القائلة ، بأن درجة الجريمة في كلا البلدين قد تضاعفت خلال العشر سنوات الاخيرة • حيث أن نسبة تعاطي المخدرات فقط ، قد ارتفعت الى ٤٠٫٢ بالمئة ، وهذا ما دفع الى أن يكون كل ثالث مرتكب جريمة شاب يافع • ومن خلال الاحصاءات التي جرت في مدينة بون (المانيا الاتحادية) تبين أن عدد الاطفال الذين يرتكبون الجرائم، ينمو سنة بعد سنة، وهناك تقارير من لندن(بريطانيا) تشير الى أن آلاف الاطفال الذين هم دون العاشرة أدخلوا السجون لارتكابهم اعمالا اجرامية في عام ١٩٧٤ • وأن هناك حوالي ٣٤ ألف شاب تتراوح أعمارهم بين العاشرة والسادسة عشر قد ألقي القبض عليهم • و ٤٥ ألف شاب قد ارتكبوا مخالفات خطيرة •

وفي بريطانيا ، تسجل مدينة « غلاسكو » أكبر نسبة في ارتكاب الجرائم • فأكثر من نصف جرائم القتل والتعذيب في سكوتلاند ترتكب في هذه المدينة • وأن أكثر من ١٥ ألف شاب هم أعضاء في عصابات الشوارع المنتشرة هناك •

ويبدو واضحا أن ما يرتكبه الاحداث من جنح وجرائم ، يعود الى الاوضاع الاجتماعية السيئة التي تفرزها المجتمعات الامبريالية • ومن بين الـ ٣١٠ ألف شقة الموجودة في غلاسكو ، هناك ٧٥ ألف منها تعتبر « عمليا » غير مأمونة ،ووفقا لاحصاءات رسمية فالمدينة بحاجة لملئات المدارس، ونسبة العاطلين عن العمل هناك تبلغ ١٨ بالمئة •

وفي الواقع ، هناك عوامل تقوم الامبريالية من خلالها بالدور الاساسي في دفع الاطفال ليصبحوا قتلة •

الصحافة البورجوازية : دموع التماسيح •••

فقد أقدم الطفل « فرانك سيفرت » البالغ من العمر ١٣ سنة وهو من مدينة صغيرة في المانيا الاتحادية على ربط رفيقه البالغ من العمر ٩ سنوات ، وهو أبن أحد العمال الاسبان ، بجذع شجرة • وعندما طلب الطفل الاسباني من فرانك أن يفك وثاقه ، أقدم الاخير على ضرب الطفل ، ضربا مبرحا بقضيب من الحديد • وقد قرر خبراء الجريمة فيما بعد ان الطفل الاسباني قد مات من الضربة الاولى • وقد صرح أحد الشهود بأن فرانك كان هادئا جدا كأنه يلعب الهوكي ، وكأنه غافل عن أنه مقدم على جريمة قتل • ونشرت الصحف البرجوازية الحادث تحت عناوين مثيرة وذرفت دموع التماسيح « على ما وصلت اليه الامور من تدهور » •

ولكن بما أنهم يمثلون طبقة الاحتكار الحاكمة ، لذا فقد عملوا على اخفاء العيوب الاجتماعية والشر المتزايد الذي يهدد الناس بما فيهم الصغار والكبار • وذلك لانهم لا يستطيعون ولا يريدون الاعتراف بأن موجة الوحشية هذه هي تعبير عن الازمة والفساد الداخليين للنظام الامبريالي • ولو اعترفوا بذلك ، ألا يجرمون أنفسهم ؟؟

الفاشية في لبنان نتاج المجتمع الرأسمالي :

في لبنان النظام ، والمؤسسات الحكومية ، بكافة مضامينها ، امتدت الايادي ولعبت ، ومن موقع المسؤول ، بمصائر الجماهير ومصالحها ، ولبنان ، بوصفه حلقة رطبة متكاهشة داخل الاطار الرأسمالي ، قد جر على أبنائه الكثير من النكبات والويلات ، كان اخرها الحرب الاهلية المندلعة والمستمرة •

ان نظرة سريعة الى نوعية الاعمال الاجرامية ، التي مارستها عصابات اليمين الفاشي تكشف مدى بشاعة هذه الاعمال ورهبتها ومدى طبيعة الافكار التي كسبها أو تثقف بها اعضاء هذه العصابات والاحزاب ، والاساليب القتالية التي تدربوا عليها • فمن أجل التحضير للقتال العسكري ، قام المدربون الاجانب وغيرهم داخل صفوف حزب الكتائب ، « بتغطيس » الشباب من عناصر الحزب في حمامات من الدم ، وابقائهم فيها مدة غير قصيرة ، قاصدين بذلك غرس روح القتل والعنف والحقد ، وبناء نفسية مريضة ، لا ترى الحلول الا سوداء دموية • وهذا ليس تدريبا على القتال أو الحرب ، بقدر ما هو أسلوب امبريالي خبيث ، يقصد تعبئة الشباب ، نفسا وجسدا ، لكي يصبحوا قتلة محترفين ، ومسيرين كباقي آلات القتل والدمار والخراب التي تصنعها الامبريالية • وقد طبق ذلك عمليا خلال حرب الشهور العشرة المستمرة •

وكانت الامبريالية ، وأجهزتها الحاكمة في لبنان ، قد عملت مسبقا ، وبجد ، من خلال برامج التلفزيون • وأفلام السينما ، على بث روح العنف والقتل الوحشي ، في نفوس الجماهير المشاهدة •

الطفل مجرم محترف !••

« لا يولد الطفل بطبيعته شريرا ، وانما بيئته هي التي تجعله هكذا » • هذه الحقيقة البسيطة ، صرح بها « بيرمان » أستاذ علم النفس في كولونيا • وفي الحقيقة أن مسلكية المجتمع الرأسمالي هي التي تخلق صورة الشر عند الطفل •

وقد ساعد كبار الناشرين من خلال تكريس صفحات كاملة في صحفهم ، على تغذية هذه الفكرة من قصص القتل المرعبة التي يرتكبها الاطفال ، والتي ساهمت بدورها في دفع الاطفال الاخرين الى تقليد عمليات القتل هذه •

ويقول « جاهانس ١٠ • ستور » عالم النفس من ميونيخ ، في احدى تحليلاته : « ان الوحشية وانعدام الرحمة ، كأسلوب حياتي للفرد ، هو نموذج يتسع نطاقه يوميا ، وقد أكدته الممارسة اليومية لامور الحياة • حيث أن اخبار الحروب وسرقة البنوك ، وعمليات الخطف ، وطريقة الربح غير المشروع ، يتسع نطاقها ، وبطريقة غير مشروعة في المجتمعات الرأسمالية » •

ان التسلط العسكري ، وكل اشكال الدعاية الامبريالية التي تخدمه ، تؤدي الى هذه النتائج • ويمكن أن نبرهن تكرارا أن « الاعلان عن الحرب»، الذي يقدمه « ستور » بهذه الطريقة السياسية « غير المنحازة » ما هي الا مادة اخبارية عن الحرب التي تبرر العنف الامبريالي ، كالذي مارسته اسرائيل وجيش حكومة سايغون العميلة •

ومع ذلك فان المتخصص في علم نفس الاطفال، الاستاذ « هاربور » من فرانكفورت ، صرح بأن « السبب الرئيسي » للجريمة الدموية ، والتي سنصفها أدناه ، كان « التأثير الوحشي للحرب التي يعرض وقائعها تليفزيون جمهورية المانيا الاتحادية » • فقد أقدم « وولف غانغ » البالغ من العمر ١١ عاما ، وكذلك توماس فاركاس ، الذي يكبره بعام واحد ، على قتل الجندي المتقاعد « ماكياس جنديش » والبالغ من العمر ٥٩ عاما ، حينما أرادا أن « يعيشا في معسكر للنازية ، كما في الغرب المتوحش » وحاول منعهما • فقد قام « وولف » أيضا بأطلاق النار من بندقية والده ، على الجندي ، أما توماس فقد أجهز بدوره على الرجل الجريح من مسافة قريبة •

ان هذا السلوك الوحشي ما هو الا انعكاس واضح للروح العدوانية المتأصلة والملازمة للامبريالية •

وقد أقدم أيضا ، أربعة شبان في « نيوواید » على قتل شاب في الثامنة عشر من العمر بطريقة رهيبة • وقد صرح القتلة فيما بعد، وبدون أي تأسف : « هكذا وقعت الجريمة ••• لقد أردنا اختبار شيء ما » • ولقد أعلن الباحث في علم الجريمة الاستاذ « ميرجن » أنه « في أي جماعة عدوانية من هذا النوع نجد ان كل عضو فيها ، يحث الاخرين ويدفعهم لارتكاب اعمال وحشية أكثر ، حتى يصبحوا جميعا سكارى من نشوة القوة والجريمة ، وحتى يتمتعوا بالتالي بهذه الحالة من السكر الى اخر لحظة وحشية » •

هذا الوصف ما هو الا صورة واضحة عن مسلكية الجنود من قوات النازية في « أورادو » و « ليدس » والذين ارتكبوا جرائم الحرب في « صن ماي » ، لانهم عاشوا في مجتمع متيقظ ، يشعر بالجوع « لاختبار شيء ما ، وليحمل اثما مخيفا » •

التليفزيون : مصنع للجريمة ••

ولقد صرح الدكتور « تشايز » العالم الاميركي من جامعة « أيوتا » : « بأن التلفزيون الاميركي يعمل وبصورة متواصلة على بث العنف في عقول المتفرجين ، وهناك العديد من الاطفال الذين لديهم القدرة على التحسس بالدمار المحدق من خلال الـ ١٥ – ٢٠ ساعة التي يبثها التلفزيون ويشاهدونها كل أسبوع ، عند تقديم أي فصل عن العنف ، بمعدل مرة كل ١٤ دقيقة • وجرائم العنف هذه تصبح مثالا يوميا لتصرفاتهم » •

ويتابع الدكتور تشايز قائلا : « اني جد مقتنع بأن الجنود الاميركيين الذين أقدموا على قتل النساء والاطفال في مقاطعة « صن ماي » في فيتنام ، كانوا هم أنفسهم مشبعين بالروح الوحشية العدوانية ، التي عمل التلفزيون الاميركي على بثها في برامجه » •

وقد تحدث « جورج سبير » استاذ علم النفس في جامعة ميونيخ عن المجتمعات الرأسمالية التي تشجع وتجيز مثل هذا الاغراق والتمادي بالعنف • قال ان الدول التي تسمح بعرض مثل هذه الافلام على شاشة التلفزيون وغيرها ، تظهر أن الانتصار في النهاية هو حليف الانسان الاكثر عنفا ووحشية، والبعيد عن أبسط القيم الانسانية، مثل هذه الدول تكون مجرمة بحق شعوبها والشعوب الاخرى • وليس من العجب بشيء ، وفي ظل مثل هذه الحالات السائدة ، أن يعتقد الاطفال « انه حتى اللعب الذي يمارسونه ، يجب أن يكون بعيدا عن الشفقة والرحمة ، وذات دوافع عدوانية • ولن يستغرب أحد بالتالي عندما يكتشف لماذا تخوض الحكومة الاميركية حروبها الخاصة في الفيتنام» •

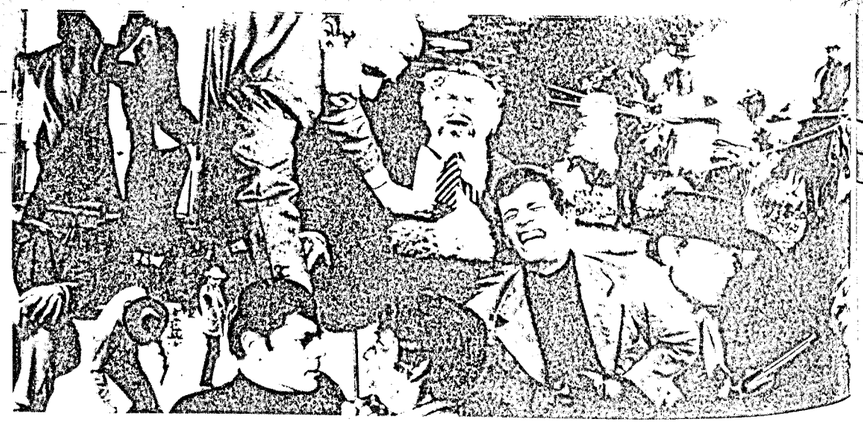

« العنف من أجل البقاء » !

وقد سبق للبروفسور « ميرجن » أن كتب ، « اننا نعيش في زمن أصبح فيه العنف يعتبر ، في المجتمعات الرأسمالية وسيلة مشروعة في عملية الصراع من أجل البقاء » • وهذا ينطبق فقط على المجتمعات الرأسمالية في عالمنا هذا • وهذا ليس بحقيقة زمنية بقدر ما هو صورة لنتاج افرزته المجتمعات الرأسمالية الحديثة •

واننا لنستطيع بالتالي أن ندرك بشكل واضح مدى تأثير مظاهر العنف هذه على الاطفال والتي ترتبط عادة بالدعاية للحرب والتعصب العرقي الذي تمارسه البلدان الرأسمالية •

★ ★ ★

في هذا التقرير الدقيق لهانس سيترم ، نشعر أن شبح الحرب والجريمة في العالم قد ابتدأ خطوته الاولى من داخل المجتمعات الرأسمالية • لا لان أفراد هذه المجتمعات وشعوبها ، هم بطبيعتهم مجرمون قتلة وصناع حرب ، بل لان طبيعة ما يتلقونه من تعليم مدرسي وتثقيف حضاري فكري ، وممارسات يومية مفروضة عليهم فرضا ، قد دفع بهم الى التجوال بمرح داخل عالم القتل والحرب والجريمة البشعة •

اسرائيل : الجريمة ترعاها الدولة •••

في اسرائيل ، تأخذ الجريمة طابعا خاصا ومميزا اذ أنها اصبحت شيئا من صلب المجتمع الاسرائيلي وأسلوبا حياتيا للدفاع عن النفس أو الاعتداء على الاخرين لحظة غياب الدولة في الاعداد للحرب أو في خوضها الحروب • والجريمة هناك تأخذ أحيانا طابعا منظما ، حيث أن بعض أجهزة الشرطة والبوليس يعمل بدأب على رعاية بعض العصابات وتأمين وتوفير فرص « العمل » لهم ضمن اسرائيل وخارجها • يقول شاهال : « أن هناك « مافيا » اسرائيلية تدير عمليات توزيع الانتاج الزراعي وتجني ملايين الليرات شهريا وبصورة غير مشروعة » • ويضيف قائلا : « ان في سوق كارمل في تل أبيب ، مثلا من يدفع شهريا حوالي مليون ليرة – كخوة – مقابل الحماية من هذه المافيا » •

وفي مؤتمر صحفي عقده شاهال في حيفا أكد ان عصابات الابتزاز تجبر المشترين من تجار الجملة للخضار بدفع ٧٥ ليرة للصندوق الواحد من البندورة مع أن ثمن هذا الصندوق هو ٣٥ ليرة •

والبرفسور مناحيم اميرالاستاذ في قسم الجريمة في الجامعة العبرية يقول : « هناك حوالي ثلاثة الاف مجرم في « اسرائيل » منهم ١٥٠٠ شخص ينخرطون في صفوف عصابات الاجرام العادية »•

وهذا الدكتور يونا كوهين الاستاذ في قسم الجريمة بجامعة بارايلان يقول : « انه منذ حرب الغفران نما شعور قوي لدى الناس بان الدولة عاجزة عن حماية المواطنين ، فالفرد العادي الذي كان يعتمد على الحكومة القادرة على تلبية حاجاته يجد نفسه الان في جو غريب يعتريه شعور بعدم الطمأنينة • وتؤكد الاحصاءات دور حرب الغفران في زيادة الجريمة والعنف فقد زاد التهديد في اللجوء الى العنف في عامي ١٩٧٣ و ١٩٧٤ بنسبة مئة بالمئة ، أما محاولات القتل فزادت بنسبة ٥٠ بالمئة » •

ويقول البروفسور شوهام من جامعة تل ابيب « نحن على أبواب التحول الذي حدث في أميركا عندما توطدت العلاقات بين عصابات المجرمين والشرطة ، ودلت بعض الحوادث على هذا التحول اذ ارتشى عدد من الشرطة وتعاون مع المجرمين • وحتى لو لم يتم ذلك فان موقف الشرطة السلبي سيساعد على هذا التحول ، وما حادثة سكان بنايات رامات غان الا شاهدا على ذلك حين شكا عدد من سكان احدى البنايات في رامات غان من مضايقة جار لهم وتهديده اياهم ، هز ضابط الشرطة اكتافه وقال لهم : ارحلوا من هنا » •

★ ★ ★

فهذا التخبط المأساوي الذي تعيشه وتحياه مجتمعات الجريمة ، وكيفما كان سببه يبقى دليلا ساطعا في وجه المتشبثين بتلك النظم الاجتماعية •

على أن تطور البشرية مرهون بزوال هذه الانظمة واندثارها ، واقامة انظمة الجماهير المعبرة بصدق عن أرقى ما في الانسان •

خالد